والوصف الثاني : (صافات) وهو وصف بوزن اسم الفاعل مشتق من الصف وهو كون أشياء متعددة متقاربة الأمكنة وباستواء وهو قاصر ومتعد يقال : صفوا بمعنى اصطفوا كما حكى ا عن الملائكة (وإنا لنحن الصافون) وقال تعالى في البدن (فاذكروا اسم ا عليها صواف) . ويقال : صفهم إذا جعلهم مستوين في الموقف وفي حديث ابن عباس في الجنائز " مر رسول ا A بقبر منبوذ " إلى قوله " فصفنا خلفه وكبر " . والمراد هنا أن الطير صافة أجنحتها فحذف المفعول لعلمه من الوصف الجاري على الطير إذ لا تجعل الطير أشياء مصفوفة إلا ريش أجنحتها عند الطيران فالطائر إذا طار بسط جناحيه أي مدها فصف ريش الجناح فإذا تمدد الجناح ظهر ريشه مصطفا فكان ذلك الاصطفاف من أثر فعل الطير فوصفت به وتقدم عند قوله تعالى (والطير صافات) في سورة النور . وبسط الجناحين يمكن الطائر من الطيران فهو كمد اليدين للسابح في الماء .

الوصف الثالث : (ويقبضن) وهو عطف على (صافات) من عطف الفعل على الاسم الشبيه بالفعل في الاشتقاق وإفادة الاتصاف بحدوث المصدر في فاعله فلم يفت بعطفه تماثل المعطوفين في الاسمية والفعلية الذي هو من محسنات الوصل .

والقبض : ضد البسط . والمراد به هنا ضد الصف المذكور قبله إذ كان ذلك الصف صادقا على معنى البسط ومفعوله المحذوف هنا هو عين المحذوف في المعطوف عليه أي قابضات أجنحتهن حين يدنينها من جنوبهن للازدياد من تحريك الهواء للاستمرار في الطيران .

وأوثر الفعل المضارع في (يقبضن) لاستحضار تلك الحالة العجيبة وهي حالة عكس بسط الجناحين إذ بذلك العكس يزداد الطيران قوة امتداد زمان .

وجيء في وصف الطير ب (صافات) بصيغة الاسم لأن الصف هو أكثر أحوالها عند الطيران فناسبه الاسم الدال على الثبات وجيء في وصفهن بالقبض بصيغة المضارع لدلالة الفعل على التجدد أي ويجددن القبض أجنحتهن في خلال الطيران للاستعانة بقبض الأجنحة على زيادة التحرك عندما يحسن بتغلب جاذبية الأرض على حركات الطيران ونظيره قوله تعالى في الجبال والطير (يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة) لأن التسبيح في وقتين والطير محشورة دوما .

وانتصب (فوقهم) على الحال من (الطير) وكذلك انتصب (صافات) .

وجملة (ويقبضن) في موضع نصب على الحال لعطفها على الوصف الذي هو حال فالرؤية بصرية مضمنة معنى النظر ولذلك عديت إلى المرئي ب (إلى) .

الطير في الأحوال هاته يرلم من منزلة نزلوا إنكاري (يروا أولم) في والاستفهام A E

لأنهم لم يعتبروا بها ولم يهتدوا إلى دلالتها على انفراد خالقها بالإلهية .

وجملة (ما يمسكهن إلا الرحمان) مبينة لجملة (أولم يروا إلى الطير) وما فيها من استفهام إنكار أي كان حقهم أن يعلموا أنهن ما يمسكهن إلا الرحمان إذ لا ممسك لها ترونه كقوله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الأرض) .

وفي هذا إيماء إلى أن الذي أمسك الطير عن الهوي المفضي إلى الهلاك هو الذي أهلك الأمم الذين من قبل هؤلاء فلو لم يشركوا به ولو استعصموا بطاعته لأنجاهم من الهلاك كما أنجى الطير من الهوي .

ومعنى إمساك ا إياها : حفظها من السقوط على الأرض بما أودع في خلقتها من الخصائص في خفة عظامها وقوة حركة الجوانح وما جعل لهن من القوادم وهي ريشات عشر هي مقاديم ريش الجناح وفي الخوافي وهي ما دونها من الجناح إلى منتهى ريشه وما خلقه من شكل أجسادها المعين على نفوذها في الهواء فإن ذلك كله بخلق ا إياها مانعا لها من السقوط وليس ذلك بمعاليق يعلقها بها أحد كما يعلق المشعوذ بعض الصور بخيوط دقيقة لا تبدو للناظرين .

وإيثار اسم (الرحمان) هنا دون الاسم العلم بخلاف ما في سورة النحل (ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا ا) لعله للوجه الذي ذكرناه آنفا في خطابهم بطريقة الإطناب من قوله (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات) الآية .

فمن جملة عنادهم إنكارهم اسم (الرحمان) فلما لم يرعووا عما هم عليه ذكر وصف (الرحمان) في هذه السورة أربع مرات .

وجملة (إنه بكل شيء بصير) تعليل لمضمون (ما يمسكهن إلا الرحمان) أي أمسكهن الرحمان لعموم علمه وحكمته ولا يمسكهن غيره لقصور علمه أو انتفائه